العرب
الأربعاء 2020/04/15
السنة 42 العدد 11678

فضاء تشكيلي افتراضي في مواجهة الجائحة

فنانون يحولون العزلة الاجتماعية إلى تقارب

كيف ستكون الحياة بوجود وباء كورونا وغياب الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي؟ الخوف سيتضاعف، ويزداد الشعور بالعزلة، وقد يلجأ الناس للانتحار، ورغم أن الفنان بطبعه ميال إلى العزلة، إلاّ أنها عزلة اختيارية، لذلك نراه في ظل العزلة الاجتماعية المفروضة عليه، أول المتمرّدين الداعين إلى التقارب الافتراضي واكتشاف فضائله.

علي قاسم
كاتب سوري مقيم في تونس

لماذا نتحمل عناء التنقل إذا كانت اللوحة تصلنا أينما كنا، عبر الفيسبوك أو عبر ماسنجر أو البريد الإلكتروني؟

الفنانون التشكيليون الذين اعتادوا التواصل مع جمهورهم من خلال صالات عرض، اكتشفوا فجأة أنهم فقدوا نصيرا عزيزا بعد انتشار فايروس كورونا واضطرار أصحاب الصالات إلى إقفال الأبواب مُرغمين.

فقدان "الراعي"، هذا ما يُطلق عادة أصحاب صالات العرض، لمّا توقّف الفنانون عن الإنتاج؛ أُتابع يوميا عشرات الأعمال لفنانين أصدقاء ينشرون أعمالهم على صفحاتهم الخاصة في مواقع التواصل الاجتماعي.

الفنان الذي استطاع أن يمزج بين الدراما والسخرية النبيلة، منذر المصري، أحرج أصدقاءه بلوحة «كورونا للمرة السادسة»

العزل الاجتماعي، الذي اتبعته الدول للوقاية من انتشار الفايروس، لم يوقف الفنانين عن الإنتاج، بل يبدو أن المعاناة زادتهم إصرارا على العمل، والأهم أنها قرّبت بينهم وبين جمهورهم.

الفنان، التشكيلي خاصة، كائن فردي بطبعه عندما ينكبّ على عمله، والعزلة الاجتماعية جزء من طقوس يُمارسها من حين لآخر.

خلال 23 يوما، هي عدد الأيام التي التزمت خلالها المنزل، أدمنت على تقليب صفحات التواصل الاجتماعي للأصدقاء، لمتابعة آخر أعمالهم، وأكاد أجزم أنكم جميعا تقومون بنفس الطقس يوميا، ليس فقط بحثا عن آخر تطوّرات الوباء، بل أيضا لمُتابعة إبداعات أصدقائكم أو إبداعات آخرين لم يسبق لكم أن قابلتموهم.

فجأة اكتشفنا أكبر فضاء افتراضي، مفتوح أمامنا 24 ساعة في اليوم، ندخله دون استئذان.

الأسئلة الملحّة الآن التي يجب على العاملين في مجال التسويق الفني البحث عن إجابات لها هي، ما هو مستقبل صالات العرض كفضاء لتسويق العمل الفني، وما هو الشكل الذي سيتّخذه سوق الفن بعد القضاء على الفايروس؟

هناك شبه إجماع على أن العالم لن يعود لما كان عليه قبل الجائحة، وسيبقى الفضاء الافتراضي سيّد الموقف. بالطبع اكتشاف الإنترنت كوسيط للعرض والتسويق ليس وليد اليوم، هناك أدلة كثيرة على أن العاملين في هذا القطاع سبق لهم أن وظفوا هذه التكنولوجيا للترويج، سواء لأعمالهم، أو أعمال الآخرين، كما فعل أصحاب الصالات الفنية.

ولكن، حتى اليوم كان يُنظر إلى هذه الوسائل كوسيط مُساعد، وهذا ما يُشكّك الخبراء باستمراره، بعد أن اكتشف الفنان الإمكانيات التي وضعتها الإنترنت أمامه للتعريف بأعماله، وتسويقها أيضا. سواء كان ذلك بجهد ذاتي، أو بإسناد الأمر لخبراء يلجأ إليهم في هذا المجال.

بالطبع لا يُفهم من عزلة الفنان أنه معزول عن مشاكل العالم وهمومه، ورغم أن كيمياء إبداعهم، كما يقول الفنان والناقد التشكيلي السوري، طلال معلا، تتفاعل مع العزلة، إلاّ أن "عزلتهم ليست انعزالا ولا ترفّعا"، حيث التقى 14 فنانا سوريا على مبادرة أطلقوا عليها "ريشة ترسم التكافل".

ويُشكّل انتشار فايروس كورونا تحديا بالنسبة لسوريا، التي عانت طويلا وما زالت تُعاني من اقتتال فرضه عليها الإرهاب والتدخّل الخارجي، خاصة في ظل نقص في التجهيزات الطبية والمواد الغذائية.

وتأتي المُبادرة التي يُسهم فيها الفنانون بأعمال لهم، خصّصت مبالغ بيعها لتقديم العون لأسر تضرّرت من الحجر وانقطاع أفرادها عن العمل. وحثّ الفنان معلا الجمهور الافتراضي على شراء اللوحات المعروضة، قائلا لهم "المُبادرة تحتاج لتفاعلكم ودعمكم كي تحلّق عاليا، ولكي نبرهن أن السوريين متكافلون، وأن الفن هو خشبة إنقاذ للروح والجسد".

ومن بين المُساهمين في المبادرة أسماء فنانين بارزين في الساحة السورية والعربية وحتى العالمية، منهم النحات مصطفى علي، والرسام غسان نعنع، وعبدالله مراد، ونزار صابور وإدوارد شهدا.

إلى جانب هؤلاء الذين وظفوا الإنترنت في سبيل أعمال خيرية، هناك أيضا من يُتابع نبض الشارع ويعكس مخاوفه، وما كان لتلك الأعمال أن تخرج إلى النور وتنتشر دون ثقة الفنانين بهذا الفضاء الافتراضي الذي وفرته لهم الإنترنت. ومن بين الأعمال التي تستحق وقفة أمامها، ثلاثة أعمال، عبّرت عن المأساة التي يشهدها العالم كل حسب طريقته.

عصام درويش، اختار أعمالا قديمة جديدة تُناسب اللحظة التي نعيشها يفتتح بها صفحته على الفيسبوك؛ مخاوف البشر لحظة مواجهة الكارثة، العمل الذي أنجز عام 2016، وكان بمثابة احتجاج وإدانة صامتة لما تشهده الساحة السورية من عنف.

«ذكرى مكتبتي المنهوبة» أثر فني لطلال معلا

اختزال بالشكل واللون، يكدّ من خلاله الفنان عمق المأساة، مركزا على ملامح وتعبيرات، وكأنها التقطت بعدسة مُقرّبة.

وبينما اختار عصام الشكل الإنساني، الوجه بالتحديد، لجأ طلال معلا في عمل باللون الأسود والأبيض، إلى إبراز أهمية الكتاب في زمن الحجر عَنونه بـ"تأمل في الحجر.. ذكرى مكتبتي المنهوبة" وكأننا به يُريد أن يُذكّرنا بالقول الشائع، في الليلة الظلماء يُفتقد البدر. نعم في يوم الحجر والعزلة المفروضة علينا يُفتقد الكتاب.

الفنان الذي استطاع دوما أن يمزج بين الدراما والسخرية النبيلة، منذر المصري، أحرج أصدقاءه برسم سريع، عَنونه "ربما – كورونا للمرة السادسة" لا ندري ونحن نتأمّله هل نحزن أم نبتسم بمرارة؛ إنها طريقة منذر في الشعر وفي الرسم وفي الحياة أيضا؛ طريقته ليقول أنا متفائل، وإن التشاؤم لحظة عابرة في حياة الإنسان.

لا نعلم بالتحديد كم سيلتهم الوباء من ضحايا، قد نبقى لنكون شهودا على زمن كورونا، وقد نرحل، ليتحدّث الآخرون عنا، وفي كلتا الحالتين الفن هو ما سيبقى وينتصر في النهاية.

أي مصير لمهرجانات السينما العربية في زمن الوباء؟

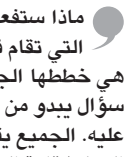

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

ماذا ستفعل مهرجانات السينما التي تقام في العالم العربي، وما هي خططها الجديدة في الوقت الحالي.

سؤال يبدو من الصعب كثيرا الإجابة عليه. الجميع يقولون إنهم يواصلون العمل لإقامة الدورات القادمة من مهرجاناتهم التي تقام عادة في أشهر الخريف والشتاء.

الجميع يأملون أن ينقشع وباء كورونا، وتصبح هناك إمكانية لاستئناف المهرجانات والاحتفال بالنجوم والأفلام الجديدة كما جرت العادة. إلاّ أن الأمر ليس بهذه البساطة، فلا أحد يعرف متى تنتهي هذه الموجة الشرسة من الوباء المنتشر في العالم ويحصد يوميا المئات من الأرواح؟ ولا أحد يعرف متى يمكن التوصّل إلى لقاح فعّال يمكن استخدامه ويضمن عدم إصابة جمهور السينما الذي من دونه لا توجد مهرجانات السينما؟

لدينا في العالم العربي ثلاثة مهرجانات كبيرة هي حسب ترتيب مواعيد إقامتها: قرطاج والقاهرة ومراكش. ولدينا عدد آخر من المهرجانات الصغيرة مثل مهرجان الإسماعيلية الذي يقام دون ميزانية تقريبا، ومهرجان الجونة الذي تقيمه عائلة ساويرس في المنتجع الذي يمتلكونه على ساحل البحر الأحمر، ومهرجان تطوان لسينما بلدان البحر المتوسط الذي تقيمه جمعية من هواة السينما، ومهرجان شرم الشيخ الذي تقيمه جمعية أخرى من المتحمّسين للسينما، ومهرجان الإسكندرية وتقيمه أيضا جمعية أهلية، ومهرجانات أخرى صغيرة متفرّقة في العراق والمغرب والجزائر وتونس.

مهرجان كان أكبر مهرجانات السينما في العالم، لا يعرف القائمون عليه حتى هذه اللحظة متى يقام؟ أو ما إذا كان سيُقام أصلا هذا العام أم سيتم إلغاء دورته القادمة الـ73؟ وهو الاحتمال الذي يُرجّحه كثيرون حتى من داخل إدارة المهرجان نفسه.

ومهرجان فينيسيا (البندقية) الذي من المقرّر إقامة دورته القادمة في الأيام العشرة الأولى من شهر سبتمبر القادم، لا أحد يعرف هل ستسمح ظروف المدينة والمنطقة التي يقام فيها بل وظروف إيطاليا كلها، وهي أكثر الدولة المنكوبة بالوباء، بإقامة هذا المهرجان الدولي الكبير؟

ورأيي الشخصي أنه لن يُقام، فلا أحد يمكنه المغامرة بإرسال وفود إلى هذه المدينة التي أصبحت منذ فترة خالية من السياح الذين كانوا يتدفقّون عليها بالملايين. ولا أحد سواء في كان أو فينيسيا يمكنه ببساطة استقبال أفلام ووفود سينمائية وإعلامية من الصين وكوريا وإيران وفرنسا وإسبانيا بل وربما أيضا من إيطاليا وفرنسا!

المهرجانات العربية السينمائية تعتمد اعتمادا كبيرا على مهرجان كان. ومُبرمج مهرجان الجونة كان قد صرّح على سبيل المثال، بأن 80 في المئة من أفلام مهرجانه يأتي بها من مهرجان كان.

وكذلك الحال مع مهرجاني القاهرة وقرطاج، ثم سائر المهرجانات الصغيرة التي تعيش على ما يتبقّى من الأفلام التي تخرج من التظاهرات الفرعية والهامشية في كان وفينيسيا، بل ويمكنني القول أيضا إن الأفلام العربية الجديدة التي تعرض في مهرجانات العالم العربي تأتي أيضا من مهرجاني كان وفينيسيا، فالعرب يفضّلون عرض أفلامهم ضمن عروض عالمية أولى في كان مثلا، وبعد ذلك تذهب أفلامهم إلى العرض في المهرجانات التي تُقام في بلدانهم أو البلدان المجاورة في المنطقة. وهو أمر ليس بغريب فهذا نفس ما يفعله السينمائيون في العالم كله.

وزارة الثقافة المصرية التي تُقيم كلا من مهرجان القاهرة ومهرجان الإسماعيلية ستخضع في قراراتها بالتأكيد لما تُقرّره الحكومة المصرية، فيما يتعلّق بالإجراءات الاحتياطية والوقائية لمواجهة وباء فايروس كورونا.

ونجيب ساويرس وشقيقه، سوف يتردّدان كثيرا في المضي قدما لإقامة مهرجان لن يُحقّق لهما شيئا، خاصة مع الخسائر المالية الفادحة التي ضربت استثماراتهما في مصر وتوقّف السياحة وابتعاد السياح تحديدا عن زيارة المنتجعات، وخاصة أن سميح ساويرس صاحب قرية الجونة السياحية كان قد أعلن ظهور حالة لمصاب بالفايروس في قريته السياحية وطالب بضرورة تخصيص مستشفى قريب، في مدينة الغردقة لاستقبال الحالات المُماثلة وعزلها!

ومهرجانات مصر الأخرى، مثل أسوان لأفلام المرأة والأقصر للفيلم الأفريقي وشرم الشيخ الآسيوي والإسكندرية، وغيرها تخضع في قراراتها لما يُقرّره المحافظون المسؤولون عن إدارة الأمور في المحافظات التي تقام فيها مثل هذه المهرجانات، كما أن الدعم الأساسي يأتي من جانبهم ومن جانب وزارة السياحة. ولكن هل سيستمر الإنفاق على هذه المهرجانات في ظل الانحسار الكبير للسياحة، وذهاب الموارد المالية للإنفاق على وسائل مكافحة الوباء؟!

من الصعب أن يتدافع الجمهور على مشاهدة أفلام مهرجان قرطاج مُجددا

هناك أيضا الكثير من الأسئلة الصعبة التي تواجه القائمين على أمر هذه المهرجانات مثل: هل ستكون الأوضاع في العالم قد تحسنّت مع نهاية الصيف كما يأمل الكثيرون؟ وهل سيصبح ممكنا إعادة فتح دور العرض السينمائي؟ علما بأن الصين التي تباهت قبل أسبوع بإعادة فتح قاعات السينما هناك عادت فقرّرت إغلاقها من جديد.

وهل ستتوفّر أصلا أفلام جديدة صالحة للعرض في المهرجانات العربية، خاصة في ظل توقّف الكثير من شركات الإنتاج عن استكمال أفلامها؟ وإن وجدت أفلام منتهية وجاهزة للعرض فهل ترقى إلى المستوى المطلوب؟ وهل سيقبل الجمهور على العودة إلى مشاهدة الأفلام في قاعات مغلقة؟ وما هو وضع الموظفين الذين يعملون في هذه المهرجانات؟ وهل سيكتسبون الثقة مجددا لكي يعودوا إلى العمل المباشر معا في مكاتب مغلقة؟

وقبل هذه الأمور كلها، هل ستكون الحكومات العربية قد سمحت بالتجمّع وتكون حالة الطوارئ وحظر التجوال التي وصلت في بعض البلدان العربية إلى الحظر التام، قد انتهت وعادت الأمور إلى مجاريها؟

الإجابة على هذه الأسئلة ببساطة هي: لا أحد يعرف. وإذا كان لا أحد يعرف فكيف يمكن التخطيط ورصد ميزانيات وتشغيل الأفراد ولو من منازلهم، على حدث قد لا يحدث؟

لكن المؤكّد أن لا أحد في العالم الخارجي، وأظن أيضا لا أحد في العالم العربي، بعد اتساع موجة الوباء، يُمكنه أن يواصل ادعاء الشجاعة والبطولة، والتصدّي لفايروس كورونا، بمهرجانات السينما والرقص والغناء، فالحكاية أصبحت أكبر من هذه الادعاءات المُضحكة!

الأفلام العربية الجديدة التي تعرض في مهرجانات العالم العربي تأتي غالبيتها من مهرجاني كان والبندقية

الحل الوحيد في رأيي القابل للنجاح، بل وربما يفوق في نجاحه وجذبه للجمهور، الشكل التقليدي المعروف للمهرجان، هو أن تُخطّط مهرجانات العرب من الآن، لإتاحة عدد من الأفلام الجيدة التي يمكنها العثور عليها، على شبكة الإنترنت من خلال إنشاء منصات رقمية خاصة مشفّرة، يمكن للجمهور التعامل معها مقابل مبلغ مالي يدفع بالبطاقات المصرفية، مع إتاحتها للنقاد والصحافيين ولجان التحكيم التي يُشاهدها أعضاؤها من منازلهم، ويتناقشون معا من خلال برامج المُناقشة المُباشرة الجماعية المُتاحة.

وميزة هذه الوسيلة أنها تُتيح مشاهدة الأفلام لجمهور داخل وخارج الدولة المنظمة. وعلى الأقل هذه تجربة تستحقّ أن نختبرها الآن، فربما أصبحت هي الشكل المستقبلي للمهرجانات السينمائية. من يدري؟!